الدعوة للمجد الأبدى

" واله كل نعمة الذي دعانا إلى مجده الأبدي في المسيح يسوع بعد ما تألمتم يسيرا هو يكملكم ويثبتكم ويقويكم ويمكنكم له المجد والسلطان إلي أبد الآبدين . آمين "

(١بط ٥: ١٠، ١١)

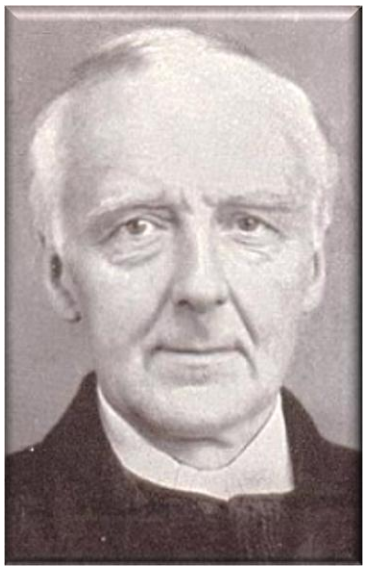

Frederick Brotherton Meyer (8 April 1847 – 28 March 1929)

يا له من تناقض بين الهجمات المشار إليها في الأعداد السابقة من الرسالة وبين النعمة الكافية الشاملة التي تظهر في عمق غناها في هذه الكلمات. ! ولماذا نخش هجمات العدو وخصم نفوسنا الأكبر مادام لنا الله إله كل نعمة ؟. فلا توجد نعمة نحتاجها إلا ونجدها فيه . نعم ، ففيه « نعمة فوق نعمة » وحتى لو نفذت مؤونة إنسان فله نبع لا ينضب من النعمة ويفيض دائما . قد يسمح الله بهجمات الشيطان ليجعلنا ندرك حاجة نفوسنا ، فنلجأ إلى مخازن النعمة المذخرة في ربنا يسوع المسيح الذي « فيه يحل كل ملء اللاهوت جسديا وأنتم مملؤون فيه » (كو٢:٩، ١٠).

روى عن قلعة إدنيرة الجاثمة فوق الصخور الرمادية أنها وقعت في الأسر مرة واحدة ، وكان هذا بواسطة أحد الرعاة الذي اقتاد شلة من جنود الغزاة ونفذوا إلى القلعة من الجهة الغربية التي تُرِكت بغير تحصين لبعدها عن أي هجوم متوقع .وكانت هذه النكبة للخير ، إذ كشفت عن نقطة ضعيفة في الأسوار وقادت إلى اتخاذ تدابير جديده للتحصين . وهكذا قد نتعرض لهجوم يدفعنا أن نفتش في المخازن الإلهية بحثا عن نوع معين من النعمة يصبح فيما بعد سهل المنال عن طريق تدريب الإيمان ، ومن ثم يكون ذلك مدعاة لتقديم الشكر.

وما أجمل هذا اللقب« إله كل نعمة » النعمة المبررة للمؤمنين ، النعمة المعزية للحزاني و المتألمين ، النعمة المقوية للضـــعيف والمعضـــدة للمظلوم ، النعمة المطهرة للخطاة ، و نعمة الحياة الأبدية . هاتوا أوعيتكم إلى هنا و املأوا حاجاتكم ، فنعمة الله ، أو محبتة التي لا نســـتحقها تشـــكل ذاتها لتفي باحتياجاتكم وأعوازكم، وكما أن المحيط الواحد يعرف بأسماء متعددة حسب الشواطىء المختلفة التي تحيط به ويتغير لون مياهه باختلاف ظلال الصـــخور التي تتكون منها حدوده ، -لكنه نفس المحيط ومياهه هي هي في كل مكان ، فهكذا محبة الله لا تتغير رغم أن كل محتاج إليها يكتشف فيها كفاية خاصة لحاجتة ، فيأخذنا العجب كيف أن الله « إله كل نعمة ».

١- رجاؤنا :

إنه عجيب بدرجة لا تصدق ، وعظيم أكثر من أن يتوقع إنسان ، إذ أن الله قد دعانا إلى مجده الأبدي . إنه واهب كل نعمة ، و يدعونا أيضـــا إلى كل مجده ، ولذلك فنحن نقيم في نعمتة و نفتخر على رجاء مجده (رو٥: ٢) .

وسوف نرى عما قريب هذا المجد، و هو بعينة بهاء صفات الله المعلنة كما ستظهر في كل جمالها. وقد كان هذا مطلب المخلص الذي حمل ضمان استجابته « أيها الآب أريد أن هؤلاء الذين أعطيتني يكونون معي حيث أكون أنا لينظروا مجدى » لا أن ننظر إلى مؤخرة المجد كما نظره موسي بينما كان الموكب الإلهى يمر في الجبل و ليس للحظة عابرة وجيزة كما رأى التلاميذ مجده حين كانوا معة في الجبل المقدس بل وجها لوجه وفي شركة دائمة متينة .

لقد قاست ملكة سبأ عظمة سليمان بالسعادة التي يعيش فيها خدامه، فصاحت في إعجاب « طوبي لرجالك وطوبى لعبيدك هؤلاء الواقفين أمامك دائما » فانظروا إذاً كم يكون نصيبنا في أبدية لا نهاية لها . ! وسوف لانرى مجده فقط بل سنشاركه فيه « المجد الذي أعطيتني أعطيهم » .

سنكون ورثة مع المسيح في أمجاده التي نالها بسبب اتضاعه وموته . شركاء في غناه الذي لا يستقصي . شركاء في أفراح الظفر التي لا ينطق بها . واحداً معه في تلك الوحدة التي تجعل من الله واحداً مع شعبه المفديين « ليكونوا واحداً كما أننا نحن واحد ، أنا فيهم وأنت في ليكونوا مكملين إلى واحد . »

إنه مجد أبدى ، ليس بالنسبة لطوله بل بالنسبة لنوعه . فهذه الكلمة تعني أكثر من الحياة إلى الأبد. إنها تتضـــمن معرفة الله الذي لايموت ولا تدركه الشـــيخوخة ، الذي فيه كل الكفاية . الخبز الذي إذا أكله إنسان أشبع جوع روحه . الفرح الذي لا يسبب الإعياء. وسوف تكون معرفة لا تكتنفها سحب الغموض . وســـنحظى بالحياة التي تصـــل إلى كل الأبعاد في الطول والعرض و العمق والعلو، والخاصة بتلك الروح التي خلقها الله على صورته . والمجد الذي سوف يقابل أعظم الأشواق التي ملأت أعظم القديسين و الذي سوف يفوق كل تصور.

فهل تخبرني بعد عن الأســـوار المصـــنوعة من الأحجار الكريمة ، أو عن الشـــوارع الذهبية ، أو

الأبواب اللؤلؤية ؟ . لم تعد هذه الجواهر تشبعنا كما الجواهر لا تشبع قلب العروس حين يكون سيدها غائبا عنها . لقد خرجنا نطلب المجد الذي دعانا الله إليه في يسوع ، و سوف نصل إليه بنعمتة الغنية ، وأيضـــا لأننا قد تمتعنا الآن بنعمته التي هي برعمة المجد . ولا يعقل أن يخدعنا الله بالباكورة والعربون بغير أن يمتعنا بملء نعمته مع كل مجده فيما بعد . آه ! من يُقدِر هذه الدعوة التي لاتزال يتردد صداها في كل العالم، لكن قد يتوقف الصوت فجأة ؟!. ومما لا شك فيه أن الناس لا يدركون قيمة إطاعة هذه الدعوة " إنهم يفكرون فيما يجب أن يقدموه أكثر من التفكير فيما لهم أن يأخذوه ، ولو أنهم فكروا فيما هو مؤكد نواله في شـــخص يســـوع تركوا كل شـــيء عداه دون أدنى خوف ، ولساروا إلى حيث تحركهم هذه الأمور المبهجة.

٢- مسيرنا هنا :

« بعدما تألمتم يسيرا » وبضيقات كثيرة يجب أن ندخل إلى ميراثنا السماوي ، فلا تاج بغير صليب ، ولا قيامة يغير جثسيماني ، ولا شرب من كأس الفرح بغير تجرع كأس الأم ، ليس من الضروري أن كل من يتألم يتمجد ، لكن لا يوجد بين الممجدين من لم يتألم على نحو ما . فيجب أن نشـــرب من كأسه ونصطبغ بصبغة آلامه ، إن كان لنا أن نجلس عن يمينه في مجده . أيها المتألمون ! ضعوا هذا في قلوبكم : إن كانت آلامكم ليست قصـاصـاً وإنما لبغضـتك للخطية والعالم الحاضـر ، و إن كان تحملكم للألم ليس على سبيل الاضطرار بل بكل رضى واختيار ، فعندئذ تصبح كل ضيقاتنا أحجار معونة على طول الطريق إلى موطن النور والمجد .

- **الآلام وطبيعتنا :**

لم يقصد الرسول أن يستعفي المؤمنون من اجتياز المحن ، الله لا يعرضنا للنار الممحصة بلا فائدة . لكن لا توجد وسيلة أخرى بها تكمل سعادتنا الحقيقية ، ولا توجد مدرسة أخرى يمكننا أن نتعلم فيها دروس
الطاعه . وقد كان الرب نفسه تلميذاً هناك يوماً ، وقد نقش إسمه على مقاعدها الصلبة الخشنة . ولا توجد شـــدائد أخرى قادرة على إزالة الكثير من الزغل و فصـــل الكثير من التبن . وفيها نفطن إلى حقيقة نفوسنا أننا لا شيء ، وبها نستطيع الاقتراب إليه في شركة أوثق ، و نتعلم كيف نقيس الأمور بمعيار الحق ، فنزن الحاضـر أمام المسـتقبل حتى يتبين لنا أنه «لا يقاس بالمجد العتيد أن يسـتعلن فينا »

- **نهاية للألم :**

فالألم في أشد حالاته سيبقى لفترة وجيزة ، وأطول عمر يقضيه الانسان في الألم لا يساوى لحظة إذا ما قورن بالمستقبل الطويل ، وأمام عظمة المجد الأبدي تبدو أثقل التجارب خفيفة . ليتنا لا ننظر إلى الأمور التي ترى بل إلى التي لا ترى ، وستبقى الدموع فقط خلال ليالى الصيف القصيرة، لكنها ستختفي عند بزوغ الفجر ، لأن الصباح يحمل إلينا البهجة والفرح . ويوم أن ينفجر ضياء المجد لن

نعود نذكر الفراق والأحزان والأخطاء أكثر من أن يذكر الجندي وخزة الدبوس في يوم الترحيب به في موكب النصر.

٣- نمونا في الحياة الروحية :

كل رجائنا يجب أن يكون في الله . ليس لنا أن نشغل أنفسنا بصعوبات نمونا في النعمة ، أو ننذعج بسبب ما يبدو فينا أنه نمو بطيء. فإن كنا فقط نعيش طائعين واثقين وراغبين في النمو ، فسوف يتعهد الله بالباقي .. هو (الله نفسه) يكملكم ويثبتكم و يقويكم و يمكنكم.

إنه سيكمل :

سيعمل على جعل إرادته نافذة في حياتنا بغير ما يعوقها كما تعمل إرادة الإنسان بكل دقة في كل أجزاء الطبيعة البشرية العجيبة.

إنه سيثبت :

سوف يبنينا بناء مؤسساً على صخر الدهور - شخص ربنا يسوع االمسيح - وعلى عمله الكامل ، حتى حين تسقط الأمطار، وتهب الرياح ، وتصدم السيول هذا البناء فإنه يبقى ثابتا لأنه مؤسس عليه هو.

إنه سيقوى :

قد لا يرفع الآلام ، أو يمنع التجارب ، لكنه سيعطيك نعمة أعظم بها تستطيع أن تمجد الله حتى لأجل الشتائم والاضطهادات ، حتى تهتف قائلاً « الرب نورى و خلاصى ، ممن أخاف ؟ الرب حصن حياتي ، ممن أرتعب ؟ ». (مز ٢٧: ١).

كم نكون آمنين وأقوياء إن كنا دائما نأتي إلى الله إله كل نعمة طالبين في جسارة مقدسة نعمة تقوينا وقت الحاجة ، واثقين أننا سنأخذ ليس بحسب شعورنا بل بالإيمان . لست أظن أن أليشع قد أحس بشيء غريب حين مضي في طريقة بعد صعود إيليا عنه في المركبة النارية ، فنظراته وإحساساته كانت بعينها كما كانت في صباح ذلك اليوم : لكن التغيير العظيم الذي حدث له ظل مختفيا حتى ظهر بصورة مجيدة عند ضفاف الأردن . قد لا ندري دائما بالتغييرات التي تتم فينا بالتدريج إستجابة لصلاة الإيمان ، لكن حين يعترض طريقنا أحد الأنهار بمياهه الطامية فسيكون إنتصارنا داعيا لأن يجعل الجميع يعلنون أن الله بالحقيقة فينا . دعونا نعطيه مجداً يليق به ! ولترتفع أصواتنا بالتسبيح يوما فيوم ، بينما تعلو الحياة وترتقي ، حتى تختفي أصواتنا في بحر التسبيح الذي تصطدم أمواجه بعرش الله ، فترتد في آلاف وربوات من التسابيح والترانيم« له المجد والسلطان إلى أبد الآبدين . آمين» .

(من كتاب امتحان الايمان) منقول مع التنسيق